

عَلِمْتِ ذَلِكَ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ هَذَا الَّذِينَ ظَاهِرًا عَلَى كُلِّ مَنْ نَازَاهُ»^(١) حَتَّى يَمُوتَ الدِّينُ وَأَهْلُهُ ظَاهِرُونَ» فَقَالَ: سَبَّحَانَ اللَّهِ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْحَدِيثَ! لَقَدْ سَرَزْتَنِي بِهِ سَرَكُ اللَّهِ. وَسَيَاتِي فِي التَّائِيدَاتِ الْغَيْبِيَّةِ قَوْلُ ابْنِ عَمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِينَ أَخَذَ بِأَذُنِ الْأَسَدِ فَمَرَكَهَا^(٢) وَنَحَاهُ عَنِ الطَّرِيقِ: مَا كَذَبَ عَلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا يُسَلِّطُ عَلَى ابْنِ آدَمَ مَا خَافَهُ ابْنُ آدَمَ، وَلَوْ أَنَّ ابْنَ آدَمَ لَمْ يَخَفْ إِلَّا اللَّهَ لَمْ يُسَلِّطْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ».

اليقين بمجازاة الأعمال

يقين أبي بكر بما أخبره به عليه السلام من مجازاة الأعمال

أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ رَاهَوِيَّةُ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٌ وَالْحَاكِمُ وَغَيْرُهُمْ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ قَالَ: بَيْنَمَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَتَغَدَّى مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَنْزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(٣) فَأَمْسَكَ أَبُو بَكْرٍ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكُلُّ مَا عَمَلْنَاهُ مِنْ سُوءٍ رَأَيْنَاهُ؟ فَقَالَ: «مَا تَرَوْنَ مِمَّا تَكْرَهُونَ فَذَلِكَ مِمَّا تَجْزُونَ بِهِ، وَيُؤَخَّرُ الْخَيْرُ لِأَهْلِهِ فِي الْآخِرَةِ». وَعِنْدَ ابْنِ مَرْدُوَيْهِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيِّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَرَأَيْتَ مَا رَأَيْتَ مِمَّا تَكْرَهُ فَهُوَ مِنْ مِثْقَالِ الشَّرِّ، وَيُدْخِرُ لَكَ مِثْقَالِ الْخَيْرِ حَتَّى تَوَفَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ! وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ»^(٤). كَذَا فِي الْكَتَبِ (٢٧٥/١) وَقَالَ: وَأَوْرَدَهُ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي أُطْرَافِهِ فِي مَسْنَدِ أَبِي بَكْرٍ.

وَأَخْرَجَ عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ هُنْدَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ «مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا»^(٥) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَا أَقْرَبُكَ آيَةٌ أَنْزَلْتُ عَلَيْ؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَقْرَبُيَّهَا، فَلَا أَعْلَمُ إِلَّا أَنِّي وَجَدْتُ فِي ظَهْرِي انْقِصَامًا^(٦) فَنَمَطَاتُ لَهَا، فَقَالَ

(١) نازاه: عاداه.

(٢) فمركها: أي فدلها.

(٣) [٩٩ / سورة الزلزلة / ٧، ٨].

(٤) [٤٢ / سورة الشورى / ٣٠].

(٥) [٤ / سورة النساء / ١٢٣].

(٦) انقصاماً: أي انكساراً.

رسول الله ﷺ: «ما شأنك؟ يا أبا بكر! قلت: يا رسول الله، وأينا لم يعمل سوءاً؟ وإنا لمجزئون بما عملنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقون وليس لكم ذنوب وأما الآخرون فيجتمع الله ذلك لهم حتى ينجزوا به يوم القيامة». قال الترمذي: غريب وفي إسناده مقال، وموسى بن عبيدة يضعف في الحديث، ومولى ابن سباع مجهول، وقد زري هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي بكر وليس له إسناده صحيح.

وعند أحمد وابن المنذر وأبي يعلى وابن جبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن أبي بكر الصديق أنه قال: يا رسول الله، كيف الصلاح بعد هذه الآية ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾؟ فكلُّ سوء عملناه جزينا به؟!، فقال رسول الله ﷺ: «غفر الله لك يا أبا بكر! أنت تَمْرُضُ؟ أَلَسْتَ تُنْصَبُ^(١)؟ أَلَسْتَ تُخْرَنُ؟ أَلَسْتَ تُصَيِّبُكَ اللَّأْوَاءُ^(٢)؟ أَلَسْتَ تُنْكَبُ؟» قال: بلى، قال: «فهي ما تجزون به في الدنيا» كذا في كنز العمال (٢٣٩/١).

يقين عمر بن الخطاب في مجازاة الأعمال

وأخرج ابن راهويه عن محمد بن المنتشر قال: قال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إني لأعرف أشد آية في كتاب الله، فأهوى عمر قضيبه باليد فقال: ما لك نثيت^(٣) عنها حتى علمتها؟، فانصرف حتى كان الغد، فقال له عمر: الآية التي ذكرت بالأنس! فقال: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ فما بنا أحد يعمل سوءاً إلا جزى به، فقال عمر: لبنا حين نزلت ما ينفعنا طعام ولا شراب حتى أنزل الله بعد ذلك ورخص وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾^(٤) كذا في الكنز (٢٣٩/١).

يقين عمرو بن سمرة وعمران بن حصين بالجزاء

وأخرج ابن ماجه عن عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري عن أبيه رضي الله عنه: أن عمرو بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس رضي الله عنه جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني سرقت جملًا لبني فلان فطهرني! فأرسل إليهم النبي ﷺ، فقالوا: إنا افتقدنا جملًا لنا، فأمر به فقطعت يده وهو يقول: الحمد لله الذي طهرني منك^(٥)، أردت أن تدخلني

(١) «النصب: التنب، «النهاية» (٦٢/٥).

(٢) «اللأواء: الشدة وضيق العيش «النهاية» (٢٢١/٤).

(٣) «نثيت: أي فشت، «النهاية» (١٠١/٥).

(٤) [٤/ سورة النساء/ ١١٠].

(٥) «يقصد يده.

جسدي النار، كذا في التفسير لابن كثير (٥٦/٢). وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: دخل عليه بعض أصحابه - وقد كان اثني في جسده - فقال له بعضهم: إنا لنبأس لك^(١) لما نرى فيك، قال: فلا تبتئس بما ترى فإن ما ترى يذنب وما يعفو الله عنه أكثر، ثم تلا هذه الآية ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويُعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾^(٢) كذا في التفسير لابن كثير (١١٦/٤).

ما تقدم عن إيمان أبي بكر ورجل من الصحابة بالجزاء

وقد تقدم عن أحمد في الزهد وأبي نعيم في الحلية عن أبي ضمرة - يعني ابن حبيب ابن ضمرة - قال: حضرت الوفاة ابناً لأبي بكر رضي الله عنه فجمل الفتى ينظر إلى وسادة، فلما توفي قالوا لأبي بكر: رأينا ابتك يُلحظ إلى الوسادة، فرفعه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة دنانير، فضرب أبو بكر بيده على الأخرى يترجع يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أحسب جلدك يسبح لها، كذا في الكنز (١٤٥/٢) وقال: وله حكم الرفع لأنه إخبار عن حال البرزخ. وقد تقدم في شتم المسلم قول رسول الله ﷺ لرجل جاء إليه وسأله عن ممالئكه: إذا كان يوم القيامة ينحسب ما خائوك وعضوك وكذبوك، وعقابك إياهم (فإن كان عقابك إياهم) بقدر ذنوبهم كأن كفافاً لا لك ولا علينا، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتصر لهم منك الفضل فتنحى الرجل وجعل يهتف ويبكي فقال له رسول الله ﷺ: «أما تقرأ قول الله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾^(٣) الآية؟ فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلهم أحرار. أخرجه الترمذي عن عائشة رضي الله عنها ورجالها ثقات.

قوة إيمان الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

تحمل الصحابة آية: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾

أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير﴾^(٤) اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ

(١) في الأصل: «بك» والتصويب من «التفسير» لابن كثير (١٢٦/٤).

(٢) ٤٢/ سورة الشورى / ٣٠.

(٣) ٢١/ سورة الأنبياء / ٤٧.

(٤) ٢/ سورة البقرة / ٢٨٤.